

محاضرات وندوات خارجية - أمريكا - الرحلة٤ - المحاضرة (٠١) : مصائب وعمر .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٤-٢٠١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صاحبته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة الولىته ، وارض عننا وعنهم يا رب العالمين ، اللهم أخرجنا من ظمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جناتقربات .

لكل شيء وظيفتان؛ وظيفة تعريفية ووظيفة تكريمية :

أيها الأخوة الكرام ؛ أشكر القائمين على هذا المؤتمر أو الملتقى دعوتهم الكريمة التي أعترض بها ، والتي إن دلت على شيء فعلى حسن الظن بي ، وأرجو الله أن تكون عند حسن ظنكم .
أيها الأخوة الأكارم ؛ بادئ ذي بدء : هل تعلم أيها الإنسان من أنت ؟ أنت المخلوق الأول عند الله، لقوله تعالى :

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلُنَّهَا
وَأَشْفَقُنَّ مِنْهَا وَحَمَلَهَا إِنْسَانٌ﴾

[سورة الأحزاب: ٧٢]

ولأنك قبلت حمل الأمانة سخر الله لك
ما في السموات وما في الأرض جميعاً
منه تسخير تعريف ، وتسخير تكريم ،
والدليل : أن النبي صلى الله عليه وسلم



هلال خير وبشر

نظر إلى الهلال فقال:

((هلال خيرٍ ورشدٍ))

[الطبراني عن أنس بن مالك]

بين النبي من خلال هذا الحديث القصير أن كل شيء خلقه الله له وظيفتان ، وظيفة تعريفية ، ووظيفة تكريمية .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((هلال خيرٍ - ننفع به - ورشدٍ - يرشدنا إلى الله -))

[الطبراني عن أنس بن مالك]

تسخير الكون للإنسان تسخير تعريف و تكريم :

الكون إذاً مسخر للإنسان بعد أن قبل حمل الأمانة تسخيرين ، تسخير تعريف وتسخير تكريم ، تسخير التعريف يقتضي أن نؤمن ، وتسخير التكريم يقتضي أن نذكر ، فالإنسان إذا آمن وشكر حق الهدف من وجوده ، وحينما يحقق الهدف من وجوده تتوقف جميع المعالجات الإلهية ، قال تعالى :



﴿مَا يَفْعُلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ
وَأَمَّا تُمْ﴾

[سورة النساء: ١٤٧]

الإنسان إذا آمن بالله واحداً موجوداً ، واحداً كاملاً ، وآمن بأسمائه الحسنى ، وصفاته الفضلى ، وخصائصه ، فقد حقق الهدف من وجوده ، كل ما في الأرض من جمال هو مسحة من جمال الله ذلك أن على وجه الأرض الآن سبعة مليارات ما منهم واحد إلا وهو حريصٌ على سلامته وجوده ، وعلى كمال وجوده ، وعلى استمرار وجوده ، سلامته وجوده بخضوعه لتعليمات الصانع ، لأن الجهة الصانعة هي الجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبع تعليماتها ، فسلامة وجوده بخضوعه لتعليمات خالقه ، وكمال وجوده في التقرب إليه ، كل ما في الأرض من جمال مسحة من جمال الله ، فالإنسان إذا عرف الله واتصل به ، اتصل بأصل الجمال في الكون ، فلذلك ينبغي أن يقول المؤمن : ليس على وجه الأرض من هو أسعد مني إلا أن يكون أتقى مني ، الإنسان مخلوق للسعادة ، قال تعالى :

﴿إِنَّمَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَذِكَ خَلَقُهُمْ﴾

[سورة هود: ١١٩]

خلقهم ليسعدهم .

الحكمة من المصائب التي تصيب الإنسان :

أيها الأخوة الكرام ؛ هذه السيارة التي نركبها ، لماذا صنعت ؟ من أجل أن تسير أليس كذلك ؟ نقول : علة صنعها السير ، لكن فيها مكبحاً ، ما مهمته المكبح ؟ أن يوقفها والإيقاف عكس السير ، ماذما نستبط من هذا المثل ؟ أن الإنسان مخلوق للسعادة ، فإذا غفل عن الله ، أو قصر بما عليه ، أو أساء إلى خلق الله ، لا بد من أن يلقت الله نظره إلى خطئه ، إما بياناً أو تأديباً ، فلذلك قال تعالى :

﴿وَلَنُذِيقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[سورة السجدة: ٢١]

هذه الآية أصل في المصائب .

﴿وَلَنُذِيقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[سورة السجدة: ٢١]

فلازاك حينما نفهم أن كل مصيبة ساقها الله لنا ، علتها ، وحكمتها ، ومؤداها أن يصحح المسار ، يوجد بالمسار خطأ عن طريق المصيبة نصحح المسار ، مرة ثانية :

﴿وَلَنُذِيقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ

الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[سورة السجدة: ٢١]

فحينما يفهم المؤمن حكمة المصيبة ، ووظيفة المصيبة ، ودور المصيبة ، غاية المصيبة ، حينما يفهم على الله ما ساقه له قد ينتفع به ، وقد يسعد به ، لكن ورد في بعض الآثار أنه : " ما من عشرة ولا اختلاج عرق إلا بما قدمت أيديكم وما يغفر الله أكثر ، وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ، ما نزل بلاء إلا بذنب ، ولا يرفع إلا بتوبة " .

هذه الحقيقة المرة التي ينبغي أن تكون أفضل عندكم من الوهم المريح ، بين أن تعيش في وهم مريح ، وبين أن تعيش في حقيقة مرة .

" ما من عشرة ، ولا اختلاج عرق ، ولا خدش عود ، إلا بما قدمت أيديكم وما يغفر الله أكثر ، وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ، ويعفو عن كثير " .

أخوتنا الكرام ؛ من آداب المؤمن أنه إذا وقعت مصيبة بأخيه يحسن الظن به ، ويقول : لعلها ترقية ، لكنني أنسح كل أخي مؤمن أنه إذا أصابته مصيبة أن يبحث عن سبب هذه المصيبة ، لأن الله عز وجل يقول :

﴿مَا يَفْعُلُ اللَّهُ بِعِذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْنَتُمْ﴾

[سورة النساء: ١٤٧]

لا تنس مثل السيارة ، صنعت لتسير ، وفيها مكبح ، المكبح يتناقض مع علة صنعها من أجل سلامتها ، فالإنسان حينما يتلقى من الله معالجات .



المصائب تأديب من الله لعباده المخطئين

﴿وَلَنَبُوْكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٌ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

[سورة البقرة: ١٥٥-١٥٦]

أخوتنا الأكرم ؛ من أورع ما قال سيدنا عمر في هذا الموضوع أو قيل عنه ، أنه إذا أصابته مصيبة قال : " الحمد لله ثلاثة ، الحمد لله إذ لم تكن في ديني - أكبر مصيبة مصيبة الدين ، أن تخرج عن منهج الله ، لا تأبه لوعيد الله ، أن تصرف عن طاعته - الحمد لله إذ لم تكن في ديني ، والحمد لله إذ لم تكن أكبر منها ، والحمد لله إذ ألمت الصبر عليها ".

خطوات معالجة الله عز وجل للإنسان :



أخوتنا الكرام : الحقيقة أن الله جل جلاله في تربيته للمؤمن يسلك معه مراحل متتابعة ، المرحلة الأولى : الهدى البصري ، تستمع إلى قرآن ، إلى تفسير ، إلى حديث ، إلى شرح ، إلى موعظة ، إلى قصة ، إلى موضوع ، إلى ندوة دينية ، هذا هو الهدى البصري ، أول شيء الهدى البصري ، وأنت صحيحاً ، معافي في بيتك وأولادك ومن حولك

، الأمور كلها على ما يرام ، لكن هناك خطأ ، وتصيراً ، وانحرافاً ، وعدواناً ، لا بد من معالجة ، لأن الله رب العالمين ، ونقضي ربوبيته أن يعالج الإنسان ، فلذلك أول حقيقة أن الله يبدأ مع هذا الإنسان الذي غفل عن الله ، أو تجاوز حدود الله ، أو قصر فيما أزلمه الله به ، أو أساء لخلق الله ، هذا الإنسان الله عز وجل يبين له ، يرسل له من ينصحه ، قد يستمع إلى خطبة يجد فيها تنبيناً له ، قد يتبع ندوة يجد فيها تنبيناً له ، إذاً أول شيء في معالجة الله عز وجل لهذا الإنسان الذي غفل عن الله ، وتجاوز حدوده ، وقصر في واجباته ، أن الله يبين له ، إما برسالة من صديق ، أو من عالم ، أو من خطيب مسجد ، أو من كتاب يقرؤه ، أو من ندوة يتبعها ، هذا هو الهدى البصري ، لذلك الموقف الكامل من الهدى البصري أن تستجيب .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحِبِّكُمْ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

استجابة فقط ، هناك دعوة من الله لما يحبكم ، دعوة لسلامتكم ، دعوة لسعادتكم ، دعوة لرفيقكم ،
إذا جاءتكم دعوة من الله ينبغي أن تستجيب .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحِبُّكُمْ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

لو أن هذا الإنسان لم يستجب ، ما الذي يحصل ؟ يخضع لمرحلة ثانية هي التأديب التربوي ، يسوق الله لهذا الإنسان مشكلة ، أو شبح مصيبة ، يخوفه ، يقلقه ، هناك من يتغاظره ، هناك من يزعجه ، لذلك ما نزل بلاء إلا بذنب ولا يرفع إلا بتوبة ، هذه حقيقة دقيقة ، إن لم يستجب للهوى البياني يخضع لتربية أخرى اسمها



التأديب التربوي أن يسوق الله للإنسان مشكلة

التأديب التربوي ، يأتي التأديب ، دائماً وأبداً البطولة أن تبحث عن السبب ، وقد قالوا : من لم تحدث المصيبة في نفسه موعدة فمصيبته في نفسه أكبر ، أصبح هو المصيبة ما دام هناك شيء مزعج ، لذلك ورد :

((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته محراً بينكم ، فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدمكم ، كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم ، كلكم جائع إلا من أطعمته))

[مسلم عن أبي ذر الغفارى]

إلى آخر الحديث ، في نهاية الحديث وهو حديث قدسي :

((فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلوم من إلا نفسه))

[مسلم عن أبي ذر الغفارى]



هذه البطولة :
((ومن وجد غير ذلك فلا يلوم من إلا نفسه))

فإن الإنسان أول شيء هدى بياني ، بيان ، توضيح ، ثم تأديب تربوي ، هناك شيء ثالث عبر عنه العلماء بالإكرام الاستدرجى ، قد يكرمه الله عز وجل ، بربح ، بيت ، بشيء يطمح إليه ،

الله يقسم من لا يعود إليه ويتبوب من الظالمين

فعله بهذا الإجراء الثالث يشكر ، أي وظيفة الإنسان في الهدى البشري أن يستجيب ، وفي التأديب التربوي أن يتوب ، وفي الإكرام الاستدرجى أن يشكر ، فإذا لم يستجب ، ولم يتوب ، ولم يشكر ، جاء القسم .

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذَكَرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرَحُوا بِمَا أُوتُوا أَخْذَنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ [سورة الأنعام: ٤٤]

لذلك البطولة أن تستجيب إذا دعيت إلى الهدى ، ولا سمح الله ولا قدر لو لم تستجب البطولة أن تتوب إذا جاء التأديب التربوي ، فإن لم تتب بالتأديب التربوي وجاء الإكرام الاستدرجى ينبغي أن تشكر ، فإن لم تفعل هذه ولا هذه ولا تلك جاء القسم .

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذَكَرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرَحُوا بِمَا أُوتُوا أَخْذَنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٤٤]

أنواع المصائب :

أخواننا الكرام ؛ المصائب تختلف من إنسان إلى آخر ، مصائب الأنبياء مصائب كشف ، عند النبي الكريم كمالات قد لا تظهر إلا بالمصيبة ، أي خرج إلى الطائف مشياً على قدميه ، المسافة تقدر بثمانين كيلو متراً ، يصل إليها ، يُكفر بها ، يستهزأ بها ، صبيانهم يضربونه ، يسيل الدم من قدميه ، يأتيه ملك الجبال ، يقول له : يا محمد لو شئت لأطبقنا عليهم الأخشبين - الجبلين - قال : لا يا أخي ؛ اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ، لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحده . أي مصائب الأنبياء مصائب كشف لكمالاتهم ، ولكن حينما ننتقل إلى المؤمنين مصائب المؤمنين مصائب دفع لهم في طريق الإيمان ، ليرفعوا سرعتهم ، أو ليرفعوا أجراهم ، مصائب المؤمنين مصائب دفع ورفع ، الآية الكريمة :

﴿وَلَنَبُلوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالنَّفْسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشَّرَ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٧-١٥٥]

إذاً المؤمن مصائب دفع لمزيد من الإقبال على الله ، لمزيد من الطاعات ، لمزيد من القربات ، أو رفع لنيته ، ولأجره ، هذه مصائب أهل الإيمان ، والشيء الدقيق إذا أحب الله عبداً ابتلاه ، قال : فإن صبر اجتباه ، وإن شكر اقتناه ، أما مصائب المعرضين عن الله مصائب الكفار والمرتدين فمصاب ردع أو قسم ، يردع أولاً فإن لم يستجب يقسم ، لذلك مصائب الأنبياء كشف ، مصائب المؤمنين رفع ودفع ، مصائب الكفار والمرتدين قسم وردع ، هذه أنواع المصائب ، والبطولة أن نقف من المصيبة الموقف الكامل .

ومرة ثانية : من لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر .

رأس الحكمة مخافة الله :

أيها الأخوة ؛ الله عز وجل يقول :

﴿أَيَحْسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًّا﴾

[سورة القيامة: ٣٨]

تفعل ما تشاء ، تأكل ما تشاء ، تأخذ مالاً من غير شرعية ما تشاء ، تؤذى من تشاء ، وهكذا :

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾

[سورة العنكبوت: ٢]

فلا بد من عقاب من الله عز وجل ، فما البطولة ؟ أن تدخل الله جل جلاله في حساباتك ، أقول لكم صادقاً : هناك إنسان لا يعبأ بأن يحسب لعقاب الله حساباً ، هذا أغبياء الأرض ، أي إنسان لا يدخل عقاب الله في حساباته بعد من أغبياء الأرض ، ولذلك هناك نقطة دقيقة جداً :



﴿الَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْنَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَبِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾

[سورة الطلاق: ١٢]

أنت مع إنسان أقوى منك إن أخطأ فهذا الخطأ مسجل وستحاسب عليه ، لا يمكن أن تخالفه ، أي بشكل آخر بين أيدينا تركب مركبة ، والإشارة حمراء ، وأنتم مواطن عادي ، والجزاء كبير جداً ، ماذا تفعل ؟ لا يمكن أن تتجاوز لماذا ؟ لأنك موقن أن واضع قانون السير تطولك عقوبته ، يطولك علمه ، لذلك لا تخالف ، فإذا علمت كما قال الله عز وجل :

﴿الَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْنَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَبِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾

[سورة الطلاق: ١٢]

حينما تعلم ذلك لا بد من أن تراجع نفسك ، البطولة قبل أن تتحرك ، قبل أن تأخذ ما ليس لك ، قبل أن تظلم ، قبل أن تستعلي ، أدخل عقاب الله في حسابك ، لذلك قالوا : رأس الحكمة مخافة الله .

الإنسان خلق ضعيفاً ليتضرر بضعفه فيسعد بافتقاره :



لذلك أليها الأخوة ؛ الله عز وجل قال :
﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾

[سورة الأعراف: ١٨٣]

لا شك أنكم تعلمون أن المثانة مقاومة
قوة الشد ، فالفولاذ أمن عنصر ، لذلك
المصائد والثل فرييك يصنع من الفولاذ
المضفور ، الفولاذ أمن عنصر ،
والألamas أقسى عنصر، المثانة مقاومة
قوة الشد ، والقساوة مقاومة قوة الضغط

، فالألamas أقسى ، والفولاذ أمن، الله عز وجل قال :

﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾

[سورة الأعراف: ١٨٣]

أي هذا الإنسان في قبضة الله بثانية واحدة نقطة دم لا تزيد عن رأس دبوس إذا تجمدت في أحد
عروقه دماغه أصيب بالشلل ، أنت في قبضة الله ، أحياناً إذا ضاق الشريان التاجي دخلت في
أرمام لا تنتهي ، إذا تجمدت نقطة دم في مكان ما دخلت في أزمة ثانية ، فالإنسان ضعيف .

﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾

[سورة النساء: ٢٨]

بل لو أن الإنسان خلق قوياً لاستغنى بقوته فشقى باستغناه ، لكنه خلق ضعيفاً ليتضرر بضعفه
فيسعد بافتقاره .

التولي والتّخلي :

الصحابة الكرام هم قمم البشر ، في بدر ماذا فعلوا ؟ خضعوا لله .
﴿وَلَقَدْ نَصَرْكُمُ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَنْتُمْ أَذْلَهُ﴾

[سورة آل عمران: ١٢٣]

أي افتقدوا فانتصروا ، افتقدوا إلى الله فانتصروا ، هم هم ، ومعهم سيد الخلق وحبيب الحق ، في
حين اعدوا بعدهم ، فلم ينتصروا .

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذَا أَعْجَبْتُمْ كَثُرَكُمْ فَلَمْ تُفْعِلُوهُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبْتُمْ ثُمَّ وَلَيْتُمْ
مُذْبِرِينَ﴾

[سورة التوبية: ٢٥]

الآن أضع بين أيديكم هذه الخبرة ، ما في مؤمن على وجه الأرض يقول : أنا إلا وبيدب ، أما إذا قال : الله ، فالله يتولاه ، فالصحابة الكرام في بدر قالوا : الله ، فانتصروا ، في حنين قال : نحن كثيرون ، فلم ينتصروا ، المخلص أنت بين التولي والتلخي ، تقول : الله ، يتولاك الله ، لذلك قال تعالى :

﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا غَيْظَ الْقُلُوبَ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَأْوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٩]

الله عز و جلّ غني عن تعذيب عباده :

أنت كمؤمن تعاملك اليومي مع الله ، حينما تعزو نجاحاً إليك وأنت لست كذلك هذا شرك خفي ، والنبي الكريم يقول :

((أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الخفي أما إني لست أقول إنكم تعبدون صنماً ولا حراً ، ولكن شهوة خفية ، وأعمالاً لغير الله))

[رواية البزار عن أبي صالح]

أيها الأخوة ؛ إذاً لا بد من ذكر أن الله عز وجل غني عن تعذيبنا ، قال تعالى :

﴿مَا يَفْعُلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْتُنْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلَيْمًا﴾

[سورة النساء: ١٤٧]

طبعاً لو أن إنساناً عنده ثلاثة أولاد - دققوا بهذا المثل - ولد منغولي ، لا يوجد به أمل ، وولد ذكي جداً ومتفوق ، الأول تركه لأنه لا يوجد به أمل ، والثاني تركه لأنه حق كمال البنوة ، الثالث ذكي ومقصري ، يصب الأب تربيته على الثالث ، لأن عنده إمكانية عالية وقصر في استغلالها .

فلذلك الإنسان حينما يكفر بالله كفراً مغلظاً كما قال الله عز وجل :

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾

[سورة الأنعام: ٤٤]

أما حينما يكون بخير يخضع لتجربة ، ولصعوبة ، تماماً كما لو أن إنساناً معه ورم خبيث منتشر في كل جسمه ، سأله الطبيب ماذا أكل ؟ يقول له : كل ما شئت ، أما الذي يعاني من التهاب حاد في المعدة يخضع للطبيب لحمية قاسية جداً ، أيهما أفضل أن يقال لك كل ما شئت أم أن تخضع لحمية قاسية ؟ الحقيقة الحمية القاسية أفضل لأن هناك أملاً بالشفاء .

لذلك أيها الأخوة ؛ حينما ترى أن الله يتبعك ، يحاسبك ، يسوق لك بعض الشدائيد إثر بعض المخالفات ، إذا كان هناك تقصير ، أو تجاوز ، أو انحراف ، تأتي المصيبة ، فاشكر الله على أنك في العناية المشددة ، هناك إنسان ضمن عنایة مشددة ، مع ذلك الأمل كبير بشفائه ، و إنسان خارج العناية المشددة و لا أمل من شفائه .

لذلك قالوا : إِذَا أَحْبَبَ اللَّهُ عَبْدَهُ أَبْتَلَاهُ ، فَإِنْ صَبَرَ اجْتَبَاهُ ، وَنَسْكُرَ افْتَنَاهُ ، وَمَنْ أَحْبَبَنَا ،
وَمَنْ طَلَبَ مِنَّا أَعْطَيْنَا ، وَمَنْ أَكْتَفَى بِنَا عَمَّا كَانَ لَنَا كَانَ لَهُ وَمَا لَنَا .

مرور العالم بثلاث مراحل :

سَيِّدُنَا عَمَرٌ أَيَّهَا الْأَخْوَةُ ؛ جَاءَهُ جَبَلَةُ
مَلِكُ الْغَسَاسِنَةِ مُسْلِمًا ، فَرَحَ بِهِ ،
وَرَحِبَ بِهِ ، هَذَا الْمَلِكُ فِي أَثْنَاءِ طَوَافِهِ
حَوْلَ الْكَعْبَةِ ، بَدْوِيٌّ مِنْ قَبْيلَةِ فَزَارَةِ
دَاسِ طَرْفَ رَدَائِهِ ، فَانْخَلَعَ رَدَائِهِ عَنْ
كَتْفِهِ ، هُوَ مَلِكٌ - جَبَلَةُ بْنُ الْأَيَّمِ مَلِكُ
الْغَسَاسِنَةِ - جَاءَ مُسْلِمًا طَافَ حَوْلَ
الْكَعْبَةِ ، بَدْوِيٌّ دَاسِ طَرْفَ رَدَائِهِ
فَانْخَلَعَ رَدَائِهِ عَنْ كَتْفِهِ ، فَضَرَبَ هَذَا



يَسْتَمِدُ النَّاسُ فِي هَذَا العَصْرِ قِيمَتَهُمْ مِنْ مَقْدَارِ
مَا يَمْلَكُونَ

الأَعْرَابِيُّ ضَرَبَ هَشْمَتْ أَنْفَهُ ، وَسَالَ الدَّمْ ، هَذَا الأَعْرَابِيُّ شَكَاهُ إِلَى سَيِّدُنَا عَمَرَ ، سَيِّدُنَا عَمَرُ جَاءَ
بِهِ ، أَمَامُ سَيِّدُنَا عَمَرٍ مَلِكُ الْغَسَاسِنَةِ وَبَدْوِيٌّ مِنْ فَزَارَةِ ، شَاعِرُ مُعَاصرٍ صَاغَ هَذِهِ الْقَصَّةَ شِعْرًا ،
قَالَ عَمَرٌ لِجَبَلَةَ : أَصْحَيْ مَا ادْعَى هَذَا الْفَزَارِيُّ الْجَرِيجُ ؟ فَقَالَ جَبَلَةُ : لَسْتُ مِنْ يَنْكُرُ شَيْئًا ، أَنَا
أَدْبَتُ الْفَتَى أَدْرَكْتُ حَقِيقَتَى بِيَدِيِّ ، قَالَ عَمَرٌ : ارْضَ الْفَتَى لَا بَدْ مِنْ ارْضَائِهِ ، مَا زَالَ ظَفَرُكَ عَالَّا
بِدَمَائِهِ ، أَوْ يَهْمَشُ الْآنَ أَنْفُكَ وَتَنَالَ مَا فَعَلْتَهُ كَفَكَ ، قَالَ : كَيْفَ ذَاكَ يَا أَمِيرَ هُوَ سُوقَةٌ وَأَنَا عَرْشُ
وَتَاجٌ ؟ كَيْفَ تَرْضَى أَنْ يَخْرُجَ النَّجْمُ أَرْضًا ؟ قَالَ لَهُ : نِزَوَاتُ الْجَاهِلِيَّةِ وَرِيَاحُ الْعَنْجَيْهِيَّةِ قَدْ دَفَنَاهَا ،
أَقْمَنَا فَوْقَهَا صَرْحًا جَدِيدًا وَتَسَاوَى النَّاسُ أَحْرَارًا لِدِينِنَا وَعَبِيدًا ، فَقَالَ جَبَلَةُ : كَانَ وَهَمًا مَا جَرِيَ فِي
خَلْدِي أَنَّنِي عَنْدَكَ أَقْوَى وَأَعْزَى أَنَا مُرْتَدٌ إِذَا أَكْرَهْتَنِي ، قَالَ : عَنْقُ الْمُرْتَدِ بِالسَّيْفِ تَحْزَ ، عَالَّمُ نَبْنِي
كُلَّ صَدْعٍ فِيهِ يَدَاوِي ، وَأَعْزَ النَّاسَ بِالْعَبْدِ بِالصَّعْلَوْكِ تَسَاوِي .

أَخْوَتُنَا الْكَرَامُ ؛ بَعْضُ الْفَلَاسِفَةُ أَوْ الْمُفَكِّرِينَ فِي شَمَالِ أَفْرِيَقِيَا فِي بَلَدِ الْجَزَائِرِ ، رَأَوْا أَنَّ الْعَالَمَ مِنْ
بِمَرَاحِلٍ ثَلَاثَ ، عَصْرِ الْمَبَادِئِ ، ثُمَّ عَصْرِ الْأَشْخَاصِ ، ثُمَّ عَصْرِ الْأَشْيَاءِ ، الْآنَ إِنْسَانٌ يَسْتَمِدُ
قِيمَتَهُ مِنْ مَسَاحَةِ بَيْتِهِ ، يَسْتَمِدُ قِيمَتَهُ مِنْ نَوْعِ سِيَارَتِهِ ، أَوْ بِرْقَمِ آخَرَ مِنْ النَّوْعِ هُنَاكَ مَئَنَانَ ، أَوْ
سَنْمَئَةٌ مَثَلًا ، فَلَذِكَ تَسْتَمِدُ مَكَانَةَ إِنْسَانٍ مِنْ مَتَاعِهِ كَمَا وَرَدَ قِيمَةُ الْمَرءِ مَتَاعِهِ ، القيمةُ الْآنَ
التَّفَاضُلِيَّةُ بَيْنَ النَّاسِ مَتَاعِ النَّاسِ ، أَمَّا فِي عَصُورِ سَابِقَةٍ فَالْقِيمَةُ أَخْلَاقِيَّةٌ.

المصيبة رسالة من الله عز وجل :

أيها الأخوة ؛ الآن هناك ملاحظة دقيقة جداً ، سأوضحها بمثل ، طفل صغير بالصف الخامس طلب من والده ألا يدرس ، قال له : كما تريدين ، في اليوم الثاني هذا الطفل لا يوجد عنده مدرسة فنام للساعة العاشرة ، أكل ، ذهب إلى السينما ، رأى نفسه أسعد طفل ، عندما كبر لا وظيفة ، ولا تجارة ، ولا شهادة ، ولا بيت ، ولا زوجة ، حقد على أبيه ، قال له : يا أباً يوم قلت لك : أريد ألا أدرس لِمَ لم تعنفي ؟ الآن دقيق في هذه الآية :

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً ﴾

[سورة القصص: ٤٧]

أي المصيبة رسالة من الله .

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة القصص: ٤٧]

فالبطولة بالمؤمن أن الله سبحانه وتعالى إذا ساق له مصيبة أن يشكر الله عليها لماذا ؟ لأن الله عز وجل رأى فيه خيراً ، ساق له مصيبة كي يشفى من مرض ألم به ، هذا الفهم الصحيح للمصائب عند المؤمنين .

كل شيء أراده الله وقع وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة :

لذلك هناك حقيقة دقيقة جداً أرددتها كثيراً لأنها تلقي ضوءاً على مشكلات العالم الإسلامي ، كل شيء وقع في الأرض بالخمس قارات من آدم إلى يوم القيمة ، كل شيء وقع أراده الله ، ما معنى أراده ؟ العلماء قالوا : سمح به فقط ، تماماً كأب طبيب تزوج ولم ينجي ، مضى على زواجه عشر سنوات ، ثم جاءه غلام هو آية في الجمال ، تعلق به تعلقاً مذهلاً ، لكن بعد حين اكتشف الأب الطبيب أن ابنه مصاب بالتهاب الزائدة ، فسمح للطبيب أن يخدر ابنه ، ويشق بطنه ، وتنتأصل الزائدة ، المثل واضح ، هذا معنى أن كل شيء وقع أراده الله ، معنى أراد لا تعني أنه رضي ، ولا تعني أنه أمر ، لكن سمح فقط ، وكل شيء وقع أراده الله ، وكل شيء أراده الله وقع ، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة ، والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق ، هذه المقوله التوحيدية تفسر كل شيء يجري على وجه الأرض ، كل شيء وقع أراده الله ، أي سمح به ، لم يأمر ولم يرض ، كما أن الأب الطبيب سمح أن يفتح بطن ابنه لاستئصال الزائدة ، لكنه لم يرض أن تكون هذه العملية في الأصل ، كل شيء وقع أراده الله ، وكل شيء أراده الله وقع ، الآن : وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة ، والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق ، أي لا يوجد بالكون

شر مطلق ، الشر المطلق يتناقض مع وجود الله ، هناك شر نسبي موظف للخير ، الشاهد الدقيق

الواضح :



﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَى الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْئاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذْبَحُ أَبْنَاءُهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءُهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾

[سورة القصص: ٦٤]

الآن دقق :

ازداد عدد الداخلين في الإسلام بعد أن طفت أمريكا

﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرِيدُ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذِرُونَ﴾

[سورة القصص: ٦٥]

هذه الآية دقيقة جداً تبين أنه ما من طاغية على وجه الأرض إلا ويوظف الله طغيانه لخدمة دينه والمؤمنين من دون أن يشعر ، ومن دون أجر أو ثواب .

أيها الأخوة ؛ قالوا : إذا مات العبد الصالح استراح من عناء الدنيا ، وإذا مات العبد الفاجر استراح منه البلاد والعباد والشجر والدواب ، ماذا بقي ؟

مرة سألني أخ قال لي : ما علاقة الدواب بالرجل الفاجر إذا مات ؟ قلت له : لأنه كان ممنوع استيراد العلف .

أخطر شيء بالعقيدة أن يتورهم الإنسان أن الله قدر عليه ما يفعله :

أيها الأخوة جيء بشاب شارب حمر إلى سيدنا عمر ، فقال سيدنا عمر لهذا الشاب: أقيموا عليه الحد ، فقال هذا الشاب : والله يا أمير المؤمنين إن الله قدر على ذلك ، فقال عمر : أقيموا عليه الحد مرتين مرة لأنه شرب الحمر ، ومرة لأنه افترى على الله ، ثم قال : ويحك يا هذا إن قضاء الله لم يخرجك من الاختيار إلى الضرار ، الآن أدخل بموضوع خطير جداً حينما تتوهم أن الغلط الذي ترتكبه قد أراده الله ، أو قدره عليك ، أو أجبرك عليه ، وقعت في أفسد عقيدة ، وقعت في عقيدة الجبر ، عقيدة الجبر تلغي الثواب والعقاب ، تلغي الجنة والنار ، تلغي الفضائل ، تلغي التكليف ، في اللحظة التي تتوهم بها أن الله أجبرك على هذه المعصية وقعت في خطأ مدمراً ، لولا حرية الإنسان ، لولا حرية الاختيار ، لا معنى للجنة والنار ، ولا معنى للثواب والعقاب ، ولا معنى للخير والشر ، إن الله أمر عباده تخيراً ونهاهم تحذيراً ، وكلف يسيراً، ولم يكاف عسيراً ، وأعطى عن القليل كثيراً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً .

أيها الأخوة ؛ أخطر شيء بالعقيدة أن تتوهم أن الله قدر عليك ذلك ، وهناك كلام عند العامة فيه خطر كبير ، أنت حينما تتوهم أن الله أجبر عباده على المعصية بطل العقاب ، وإذا توهمت أن الله أجبر عباده على الطاعة بطل الثواب ، وإذا توهمت أن الله تركهم هملاً لكان عجزاً في القدرة ، إن الله أمر عباده تخيراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلف يسيراً ، ولم يكلف عسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً .



أيها الأخوة الكرام ؛ أشياء دقيقة جداً يجب أن نعرفها في المصائب ، ما من مصيبة على وجه الأرض إلا بسبب منا .

عن أبي إدريس الخولاني رحمه الله ، عن أبي ذرٍ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : ((من وَجَدَ خَيْرًا فَلَيَحْمِدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ))

[مسلم عن أبي ذر الغفاري]

وما دام القلب ينبض هناك فسحة في التوبة ، لذلك الله عز وجل حينما يسوق لعباده الشدائـد من أجل أن يرجعوا إليه ، ويصطلحوا معه .

((إذا رجع العبد العاصي إلى الله نادى منادٍ في السموات والأرض أن هنـوا فلاناً فقد اصطـلح مع الله))

[ورد في الأثر]

من عرف الله ثم عرف أمره تفاني في طاعته :

أخواننا الكرام ؛ لي ملاحظة أخيرة ، أنت إذا عرفت الله ثم عرفت أمره تفانـت في طاعة الله ، من هو الله ؟ بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهـب أربع سنوات ضوئـية ، ماذا تعـني أربع سنوات ضـوئـية ؟ يقطع الضـوء في الثانية الواحدة ثلاثةـ ألف كيلو متر ، في الدـقيقة ضـرب ستـين ، في السـاعة ضـرب ستـين ، في اليوم ضـرب أربع وعشـرين ، في السنة ضـرب ثلاثةـ وخمسـة وستـين ، أربع سـنوات ضـرب أربع ، ابنـك الصـغير بدـقيقـتين يـحسب لك على الآلة الحـاسـبة المسـافة بين الأرض وبين أقرب نجم مـلـتهـب ، لو أنـ هناك مـركـبة لـهـذا النـجم متـى نـصل ؟ قال : بعد خـمسـين مـليـون عـام ، متـى نـصل إلى نـجم القـطب ؟ أربعـة آلـاف سـنة ، متـى نـصل إلى مجرـة المـرأـة

المسلسلة ؟ مليونا سنة ضوئية ، متى نصل إلى مجرة اكتشفت حديثاً ؟ أربعة وعشرون ألف مليون سنة ضوئية ، اسمع القرآن :

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسْمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

[سورة الواقعة : ٧٥-٧٦]

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلّك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل المراء عالماً ما طلب العلم ، وإذا ظن أنه علم فقد جهل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين